مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد01 2022/01/15

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قـراءة فـي رسالة الـغفران لأبـي الـعلاء الـمعري (363 / 449 هـ)

(رؤيــة آنـتروبــولوجية ديــنية)

Read in the Epistle of Forgiveness to Abu Alaa Al-Maari (363/449 AH)

(An anthropological religious study)

شهابة زينب*

جامعة وهران 1 أحمد بن بـلة ، الجزائر

zinebchehaba@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/09/26 تاريخ القبول: 2020/10/26

الملخص

تعد رسالة الغفران رحلة خيالية إلى العالم الآخر , تمكن فيها المعري من اقتحام عالم العجائب العقلية و العلمية , يعرج فيها ابن القارح من الأرض إلى السماء ليجول في فضاءات الجنة و النار , سائلا أهل النعيم سبب ولوجهم الجنة و أهل الجحيم عن حالهم و في ضوء أهمية هذا النص الجمالية نبعت دراستي النقدية بالوقوف على مستويات النص الدلالية و التعمق أكثر في أغواره وبالبحث في تركيبته الفنية وبناءه السردي العجائبي والإحاطة بسياقه التاريخي ومجموع التغيرات الاجتماعية و الآنتروبولوجية وتأثيرها على الأدب .

و من النتائج المتوصل إليها أن نص المعري غلبت عليه سياسة الإيماء و التلميح التي تميز بـها الـمعري التي أوقعتنا بين المتناقضات باطنها عكس ظاهرها نتج عنها تلاعب بمستويات الدلالة في النص , وقد تلون النص بمظاهر النحل و الشيع و الـمعتقدات الـدينية و المسائل اللغوية و النقدية و الفلسفية والإنسانية , و يعتبر القرآن الكريم و قصص الأنبياء و الإسراء و المعراج مصدر الهام لرسالة الغفران والكثير من الكتابات الأدبية العالـمية .

الكلمات المفتاحية : رحلة خيالية , التركيبة الفنية , السرد العجائبي , المعتقدات الدينية.

Abstract:

Among the results reache dis that the text of Al Ma'ariwas dominated by the policy of nodding and allusion that distiguished and characterized Al Ma'ari, which placed us between the contradictions" its substance un like its appearance", resulting in a manipulation of the levels of indication in the text.

The text was colored with pictures of bees's appearances, Shiites, religious beliefs, linguistic smatters, critical, philosophical, and humanitarian issues. The Nobel

* **المؤلف المرسل**: : شهابة زينب، **الإيميل**: zinebchehaba@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Qur'aan ,actually, and the prophests' stories, the Israa and Miraj are considered as the sources of inspiration for the message of forgiveness and many international writings

keywords : fictional journey, artistic composition, miraculous narration, religious beliefs

مقدمة :

رسالة الغفران لأبي العلاء المعري من روائع النثر العربي والنبوغ الفكري في القرن الرابع هجري اعتبرها البستاني ملحمة نثرية واعتبرها طه حسين قصة خيالية كما اعتبرتها بنت الشاطئ نصا مسرحيا , وكأنها مجموعة من الأجناس الأدبية اجتمعت في نص واحد , وفي الظاهر أنها رسالة مطولة كتبها أبو العلاء كرد على رسالة أرسلها له ابن القارح يشكو فيها حاله ويذكر فيها أخبار الزنادقة و الملحدين و يرجو منه الرد على ذلك فجاء الرد من أبي العلاء برسالة مطولة مكونة من جزئيين الجزء الأول رحلة إلى عالم الآخرة و الجزء الثاني رد على رسالة ابن القارح , ونحن بصدد عرض قراءة مختصرة في مضمون الجزء الأول الذي هو رحلة خيالية جرت أحداثها في عالم الآخرة , أعدها أبو العلاء لصاحبه ابن القارح يسأل فيها أهل الجنة والنار عن الغفران بالإضافة إلى مسائل نقدية وقضايا أدبية وفلسفية , وفي ضوء هذه القراءة سلطنا الضوء على الرسالة من جوانب مختلفة عن طريق الإجابة عن بعض التساؤلات :

- هل كانت رسالة الغفران رسالة أم قصا تولد عنه مجموعة من الأجناس الأدبية ؟
- كيف كان تمظهر السارد في هذه الرسالة ؟
- ما مدى قدرة المعتقدات الدينية في رسم البيئة العجائبية ؟
- ما حقيقة العلاقة بين رسالة الغفران و الكوميديا الإلهية ؟
- هل تسلب القصة العجائبية التاريخ و الانتروبولوجية مصداقيتها ؟

أهداف الدراسة : يسعى هذا البحث إلى مجموعة من الأهداف :

- الإحاطة بالإطار التاريخي و الإجتهماعي و الديني للرسالة للتعمق أكثر في آنتروبولوجية النص العجائبي .
- إبراز وجهات النظر حول بعض القضايا الدينية و اللغوية و الفلسفية و الإنسانية التي تطرق لها أبو العلاء .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المنهج المتبع : للوصول إلى هذه الرؤية اتبعنا منهجين : التاريخي و التحليلي , قصد الإحاطة بالنص من الجانب التاريخي و البحث في السياق الأدبي و السردي و الديني للنص محاولة منا لاستخراج مكنوناته.

أولا :الإطار التاريخي للرسالة :

تعتبر رسالة الغفران نافذة نطلّ بها على فترة, عرفت فيها الدولة العباسية تغيرات شملت عدة مجالات: الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والأدبيّة..., فاتسعت الهوة بين طبقات المجتمع فنتجت عنها طبقة حاكمة تشمل أصحاب السلطة السياسيّة وأصحاب المال من خليفة وقضاة وولاة ووزراء..., وطبقة عامة ضمت أصحاب الحرف والصناعات وغيرهم من عامة الشعب.

ونتيجة للنظام الإقطاعي والتوزيع غير العادل للأموال وخيرات الدولة التي انحصرت حول الخليفة ومن يمت له بالصلة وأصحاب النفوذ والقوة. تعدد مظاهر الثراء والتفسخ الأخلاقي والابتعاد عن الدّين وابتداع المنكرات, انتشرت دور اللهو والمجون عبر المعمورة وأضحى شرب الخمر أمراً عادياً واجتهد بعض الفقهاء في "تحليل النبيذ كنبيذ العسل والبر والتين" (أحمد أمين، د ت , ص43) .

كما أصبحت بيوت القيان والحانات مرتعاً للعامة يمارسون من أسباب الانحراف ما بدا لهم كمصاحبة الجواري والغلمان.

ويبدو أنّ عصر المعريّ قد شهد من الحروب والنزاعات والانقسامات ما يكفي لينخر في أجزاء الدولة المترامية, فالرغبة في الزعامة الّتي سيطرت على الأمراء والملوك لم تمنعهم من الاستنجاد بالرّوم على بعضهم, فساد الجشع والعنف وكثرت الفتن والحروب وكثرت الضرائب و الجبايات فاستفحل ضيق العيش وأصبحت الثروة في يد فئة قليلة من الأغنياء وأصحاب النفوذ. وكانت كل المؤشرات توحي بسقوط الإمبراطورية الإسلاميّة, فقد كان الحمدانيون يحكمون قسماً من شمالها وكان مهدداً بأطماع الفاطميين والرّوم, كما كانت أنطاكية واللاذقيّة في أيدي الرّوم, ولم يكن للحمدانيين بعد سيف الدولة تلك السّطوة الّتي كانت لهم في عصره, فاضطربت أحوالهم الداخليّة" (ينظر: عبد القادر زيدان، 2007 ، ص 11-12).

هذه الانقسامات و التآمرات والتخاذل الذي اتصف به بعض المسلمين فتح المجال للطامعين بالتوغل في أعماق الدولة الإسلامية حتى وصلوا قرب حماة من الناحية الداخلية وبلغوا طرابلس من جهة الساحل واستولوا على طرطوس و أنطاكيا و هما من أهم ثغور المسلمين حتى جاء السلاجقة وأسسوا دولة السلاجقة الروم التي كانت سببا لقيام الحروب الصليبية

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ثانيا : بناءات الإخفاق :

قد لا نبالغ إذا قلنا إنّ الحوادث السّياسيّة الّتي مرت على حلب ومعرة النعمان منذ نشأة المعريّ إلى أيام شيخوخته كانت سلسلة من الأهوال والفتن تركت أثراً عميقاً في نفسيته (ينظر: عبد القادر زيدان، 2007 ، ص 13).

رغم أن الحياة الثقافيّة كانت عكس ذلك, فلم تشهد الحركة الأدبيّة ازدهاراً أكثر من ذلك العصر وكما يقول المثل مصائب قوم عند قوم فوائد , فتداخل الحضارات فيما بينها نتيجة الحرب ساهمت في إثراء حركة الترجمة, فكانت الخطوة الثانية التي تتوجه إليها الأفكار العربية تفهمها وتشرحها وتهضمها وتتفكر فيها وتزيد عليها " (أحمد أمين، 2008, ص65).

كما أنّ الانقسامات التي مسّت خارطة الدّول الإسلاميّة شكلت مجموعة من الأقطار أصبحت كل عاصمة قطرا ومركزا هاماً لحركة علميّة وأدبيّة يقول **طه حسين** "الأسباب التي أضعفت السّياسة قد عملت على تقويّة العقل, وأنّ منافسة الأمراء والمتغلبين لم تعتمد على السيف وحده, بل اعتمدت معه على العقل واللّسان " (ينظر طه حسين ، 1963, ص 85) ، ومع ذلك ظهر مجموعة من العلماء والأدباء المتكسبين المتقربين من الملوك والأمراء وأصحاب النفوذ شعرهم زائف ومدحهم كاذب وإنّ برعوا, ومجموعة من الأدباء رفضوا الدخول في بوتقة السلطة إلا بالحق, فتردّت حالهم وضاق بهم العيش فجعلوا السّفر سبيلهم، وكان **أبو العلاء** من أهل العلم الّذين سعوا إلى العلم في جميع أراضيه على خلاف من سافر للسعي وراء المال وبيع علمه ويكرس قلمه لمدح أصحاب السّلطة والجاه, وقد ذكر المعري في إحدى رسائله عند سفره إلى بغداد فقال: "احلف ما سافرت أستكثر من النشب ولا أتكثر بلقاء الرجال, ولكن آثرت الإقامة بدار العلم" (ياقوت الحموي ,د ت , ص 319 – 320) .

وكانت بدايته بالعراق موفقة نظرا لبراعته وقدرته العلميّة الّتي أكسبته تأييد الكثير من أهل العلم واشتغل بالتدريس فقد ذكر **الخطيب البغدادي**: " أنّ **أبا القاسم التنوخي** ورد بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وقرأ على **المعريّ** ديوان شعره ببغداد " (الخطيب البغدادي , د ت , ص 240) .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ولكن الحال لم يبق على حاله فقد ذكر **الصفدي** أنّ **المعري** قصد **أبا الحسن عليا بن عيسى الربعي النحوي** ليقرأ عليه فلمّا دخل, قال ليصعد الإسطبل*! فخرج مغضبا ولم يعد إليه" (حساني، شريف نجيب، 2012/2011 , ص 18). ونتيجة للأذية الّتي تعرّض لها أبو العلاء من بعض ناس العراق مسّت كرامته ونفسه, وقد جاء إلى بلد العلم علّه يجد متنفسا فيعطي مما أتيح من علم وأدب ويزيد ولكن قسوة الحياة والزمن لم تترك له منفذا, فعزم العودة إلى الديار وأثناء طريق عودته سمع خبر وفاة أمه فكانت انتكاسته الثانية بعد مرضه**, وهو ابن الأربع سنوات فتوالي النكسات وأذيّة النّاس له و الطعن في معتقديه*** وفي طريقة عيشه أدخله في عزلة إلا أنّ حياته العلميّة استمرت في الازدهار, فكان الطلاب يتوافدون عليه من كل أنحاء العالم الإسلامي يدرسون على يده ويستفيدون من علمه, ولم يضطلع **أبو العلاء** ظاهريا بالسّياسة, ولم يغادر منزله إلا مرة واحدة, لما حو صرت المعرة, خرج **أبو العلاء المعري** إلى أسد الدولة صالح وهو بظاهر المعرة فطلب منه الصفح والعفو فوهبه المعتقليين وهكذا أفرج الحصار" (الخطيب البغدادي , د ت , ص 240) .

تغيبت في منزلي برهة ستير العيوب فقيد الحسد
فلما مضى العمر إلا الأقل وحم لروحي فراق الجسد
بعثت شفيعا إلى صالح وذاك من القوم رأي فسد
فيسمع مني سجع الحمام واسمع منه زئير الأسد
فلا يعجبني هذا النفاق فكم نفقت محنة ما كسد

ألّف **أبو العلاء** "رسالة الغفران" في فترة عزلته وهو يتجاوز الستين عاما وقد شرب من عيون العلم وفاض نبعه بما يشفي عليل السائل في ميادين الأدب والنقد والفلسفة والسّير والقرآن والشّعر.....

تقول **نادية تيحال**: "وقد أملى **المعري** رسالته هذه بعد مضي قرابة ربع قرن من عزلته وكانت حينها شهرته قد شاعت فراسله الكثير من المستفسرين عن خصائص فكره ..." (نادية تيحال , 2003-2004، ص 124) .

ويبدو أنّ **ابن القارح** من بين هؤلاء الذين راسلوه, لكن مراسلته لم تكن استفساريّة بل استفزازيّة و أدعائية فلو كان **ابن القارح** صادقا مع نفسه ما كان ليلهو بأمور النّاس والشّعر, فيلعن هذا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ويكفّر ذاك, فما دام الكذب ذاع صيته وانتشرت رائحته من كلام **ابن القارح** فقد ولاه **أبو العلاء المعري** رحلة يصعد فيها, وكأنّه طُرِدَ من الأرض, ليكتشف حقيقة نفسه في السماء, أمّا المعريّ فقدر له أن يلحظ بنواظر الغير, وهذا يرجع إلى انّه قد تكون له فلسفة أخرى في الأرواح وتناقلها وكيفية صقلها والصورة التي تلزم لنشورها مع بقاء طباعها على حالها " (حساني , شريف نجيب، 2012/2011 ,ص 88).

رسم **المعري** عالم أخرويّ انطق فيه أبطاله بحكم معرفته لهم أو بما شاع عليهم, فقدانه لبصره واعتماده على السّمع في التمييز بين الصحيح والخاطئ وقدرته على الحفظ ورجاحة عقله وإحاطته باللّغة فصيحها و دخيلها قوّت بصيرة الأعمى المنعزل عن هذه الحياة البائسة الزائفة ليثبت لنا أنّ الجسد عدو الروح وكلما نجت النّفس من سجنها الماديّ كلما زهدت في هذه الحياة وعرفت حقيقتها.

ثـــــالثا : من الترسل إلى القص :

تعدُّ رسالة الغفران قمة النبوغ الفكري في القرن الرابع الهجريّ، إذْ تمكّن **المعري** من اقتحام عالم العجائبية ، فقد حملت رسالته عددا كبيرا من الأنواع الأدبية، جاءت في أسلوب متفرد.

يعرّج **ابن القارح** من الأرض إلى السماء، ليجول في فضاءات الجنّة والنّار، سائلا أهل النعيم عن سبب ولوجهم الجنّة، ويسأل أهل الجحيم عن حالهم، فيلقى الجواب من البعض، ويأبى البعض الآخر الردّ لاشتغاله ، في الخيرات والنعيم أو معاناته من نار الجحيم , يعتبر لقاء **ابن القارح** بكل شخصية من شخصيات النّص قصة في حد ذاتها تنتهي بالمرور إلى الشخصية الموالية.

كما هو ملاحظ أنّه يوجد تداخل بين الرّسالة الأدبيّة والقصة الخياليّة "أو بين مقام يخاطب فيه ابن القارح باعتبار بطل قصته وجه آخر من وجوه التركيب الفني لم يتعوده قراء الرّسالة ولم يألفه قراء القصة وهو لذلك فعل آخر في تقليد الكتابة والتأسيس لها " (صالح بن رمضان، 1993 , ص04) , وكما أشرنا سابقاً فرسالة الغفران انفتحت على جنس القصّة فانتقلت من مقام الترسّل إلى السّرد الإخباريّ دون الخروج عن مقتضيات الترسّل كالدعاء وذكر وصول الابتداء ومناسبة الرد ويرى البعض أنّ أبا العلاء اختار قالبا جديدا لطرح أفكاره و التعبير عن آرائه "فلم يكتف بالشعر بصفته نوعاً فنياً ولا بالرّسالة المطوّلة بصفتها نوعاً فنياً, فراح يبحث عن قالب جديد هو القصة الخياليّة" (عبد المالك قجور،2009، ص254) .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إن القصة لا تحدد بمضمونها فقط بل بالشكل والطريقة التي يقدم بها ذلك المضمون فكيف كان تقديم السارد لهذا المضمون

رابـــــــعا: تمظهر السّارد في رسالة الغفران :

يتموقع **أبو العلاء** في مقدمة الرسالة باعتباره السّارد العليم، الذي يمدح رسالة **ابن القارح** باعتباره المرسل إليه أي المسرود له، ولهذا نجده هنا لم يخرج في معاني هذا المدح وأساليبه عن السنن المألوفة في هذا الجنس من الرسائل. ولكنه في الواقع أخرج هذه المعاني من مدلولها الحقيقي المدح إلى السّخرية منه، فتتحول المقدمة المدحية التي شملت عنصر الابتداء والتعبير عن الإعجاب إلى مقدمة توسعت فحوت قصة ساخرة، بطلها الممدوح **ابن القارح**، فخرج السّرد من مقام الإخبار إلى التخيل والحديث عن شخص تاريخي إلى الحديث عن شخصية قصصية خيالية عجيبة.

ونجد السّارد يوظف الشاهد القرآني، الذي جاء في أسلوب تشبيه "وهذه الكلمة الطيبة كأنها المعنية بقوله **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ(24)﴾** " (سورة ابراهيم، الآية 24) ، وفي تلك السّطور كلام كثير عند الباري – تقديس– أثير، فقد غرس لمولاي الشيخ **الجليل**– إنْ شَاءَ الله – بذلك الثّناء شجر في الجنة" رسالة الغفران ,1969, ص140) .

للتخلص من وصف رسالة الابتداء والدخول إلى القصة الخيالية، فقد تضمنت الآية الكريمة صورة الشجرة الممتدة فروعها، كتشبيه تمثيلي، ساعد على توليد القص وتحديد الإطار المكاني الذي ستجري فيه أحداث القصة، ويتواصل السرد على نمطين في متن القصة.

السّارد الأول وهو أبو العلاء السّارد العليم، وراوي الحكاية أي "السّارد خارج حكائي، والسّارد الثاني يوجد داخل عالم حكاية السّارد الأول، لأنه موضوع للمحكي، وليس الأمر كذلك بالنسبة للأول لهذا يسمى داخل حكائي" (جيرارجينت وآخرون، 1989,ص 14) .

فجعل الكاتب صاحبه ابن القارح بطل قصته الخيالية واضعا مسافة بينه وبين شخصياته، ليترك لها المجال أن تعرّف بنفسها من خلال حوارها مع ابن القارح أثناء رحلته وتجواله، وسؤالهم عن سبب الشفاعة "بم غفر لك؟"، وهذا السؤال الذي بني عليه النّص وحبكت به قصة الغفران ، فالسّارد هنا يستفسر بتوجيهه السؤال للمسرود له، وفي الحقيقة أبو العلاء يوجه السؤال أولا ضمنيا لابن القارح بالدرجة الأولى، ثم القارئ بالدرجة الثانية، أما ظاهريا فابن القارح هو المتجول السّائل لغيره، وأثناء هذه الجولة تظهر زاوية أخرى لرؤية السّارد (الرؤية مع)، ليتبوأ السّارد المكانة المركزية في النّص ليعبر عن أفكاره.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إنّ أسلوب الاستفهام الذي استثمره أبو العلاء في رسالته، خرج عن كونه استفهاما حقيقيا إلى معنى آخر مجازي كالاستنكار والسّخرية وغيرها من الأساليب البلاغية التي من شأنها تقريب المعنى وتجسيد وجهة النظر. وتتجسد هذه الزاوية في الحوارات بين الشخصيات التي تجمعهم الجنة أو النّار , يتناقشوا عن سبب دخولهم وكيف تحصلوا على الشفاعة عن طريق عمل أو شعر أو موقف...، أو الدخول في مناقشة مسائل لغوية ونقدية فيتعدد السّاردون بتعدد الشخصيات، التي تُعرِّف عن ذاتها بالكلام والإخبار عن ماضيها وحاضرها وتكشف عن مستقبلها.

ومما سبق يبدو أنّ تقنيتي (أسلوب) التصوير والإخبار تحكما في بناء رسالة الغفران بناءا فنيا محكما، وفق تصور ذهني تخيلي مسبق ودقيق ومُدرك لعناصر القص المعروفة اليوم... فهذا البناء الفني التخيلي جاء ملبيا لأغراض المعري وأفكاره ومشاعره وثقافته، ولا سيما أنه حاول إبراز قدرته، فزجّ الكثير من الأخبار وغريب اللغة في رسالته. وكذلك كان ملبيا لطرق السّرد سواء كان السّرد داخليا أو خارجيا، وإذا دققنا نجد أنّ أبا العلاء لم ينظر للبحث السّردي، ولكنه استنه عمليا في قانون الإخبار القائم على التصوير الذهني التخيلي الافتراضي، فالسّارد الداخلي الذي يمثل ابن القارح، جعل ضمير المتكلم والغائب يظهر بكثرة على لسانه، أما السّارد الخارجي الذي يمثل أبا العلاء فقد ظهر بصفته ساردا داخليا إلا في مطلع أقسام الرسالة.

ولقد أجاد المعري في استخدام هذه التقنية (أي السّرد الموضوعي) مع (تبادل زوايا الرؤية) فاستطاع الخروج من مأزق قدسية المحل الذي أدخل شخوص حكايته فيه، فألقى بالحِمل على هذا السّارد الذي اتخذ الآخرة مسرحا يصعد عليه من يشاء.

خامسا : الشخصية السّردية غير ممثلة (أبو العلاء) :

تعتبر الشخصية عنصر أساسي من عناصر العمل السّردي، وتتجلى أهميتها في تحريك العمل السّردي من خلال أفعالها أو أفكارها، أو شبكة العلاقات التي تكونها مع غيرها لتكون مادة هذا العمل. "فهي العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى، بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية" (ضياء غني لفتة، 2010 . ص179) .

فالشخصية هي التي تحرك الأحداث وتقودها، بالإضافة إلى هذا فإن حركات الشخصيات هي التي تحدد مسار الحدث وتتداخل معه فيطورها وينميها، ويحدث تغيرا على سلوكاتها ونشاطها أما الزمان فيدلّ على بناء الشخصية وتطورها الفكري خلال الزمن المدروس، أو بالتطرق لتاريخها عن طريق استحضار

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ماضيها أو تجسيد واقعها، ومن جهة أخرى ترتبط الشخصية بالمكان وفقا للعلاقات التي تجسدها الشخصية من خلال سماتها ومهنتها وانتماءاتها الاجتماعية والسلوكية.

يعرّف رولان بارت الشخصية بأنها "نتاج عمل تأليفي" (حميد لحمداني، 2000 , ص50) ، ويعرفها عبد الملك مرتاض "الشخصية من حيث هي كائن إبداعي سيمائي يمثل عالما خياليا محضا ينشئه القارئ أو الروائي ضمن المكونات السّردية الأخرى" (عبد الملك مرتاض، 2013 ,ص75) . ونجد عبد الملك مرتاض قد خصّ هذا التعريف بذكر العالم الخيالي المحض، ولا يعني هذا أن نلغي وجود شخصيات واقعية ممثلة في السّرد. ويقصد بهذا صورة الشخصية التي تتجسد لنا عبر رصد الأوصاف التي تستند لاسم "علم"، يتكرر ظهوره في الحكي. ثم إنّ الشخصية في الرّواية أو الحكي عامة، لا يُنظر إليها من وجهة نظر التحليل البنائي المعاصر، إلاّ على أنّها بمثابة دليل له وجهان : أحدهما دال يجسد الشخصية من حيث اتخاذها عدة أسماء أو صفات تلخّص هويتها ؛ أما شخصية المدلول فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص، أو بواسطة تصريحاتها وأقوالها و سلوكاتها، وبهذا فإن صورتها لا تكتمل إلا عندما يكون النّص الحكائي قد بلغ نهايته (ينظر: حميد لحمداني, 2000 , ص51) .

فهي تتنما شيئا فشيئا مع الأحداث وتأخذ صورتها النهائية مع تمام القصة.

الشخصية السّردية هي أقرب ما يكون إلى الجمود (السّارد غير ممثل)، إذ يتولى الكاتب (أبو العلاء) بنفسه مسؤولية رسمها وتصويرها، وتقديمها لرحلة ابن القارح في الجنّة والنّار، وهذا التصوّر قرّب الشخصية السّردية من الفعل، لأنّها تروي الحدث ولا تقوم به أو تصنعه، ولكنّها تحكيه وفقا لتصوّراتها لما حدث (الماضي) وما سيحدث (المستقبل)، ولكنها حين تعطينا مثالا حيًّا، أو نموذجاً لتصوّيره (حادثة أو شخصية واقعية)، تخرج عن إطار التصوّر، إذ تولد منه فعلا مكررا عن طريق توظيف هذه الشخصيات.

فكان الهدف من السّرد أنْ يحدث للحدث، ويلخص تاريخه البعيد وماضيه، كمبرر لحدوثه أو يعقِّب أو يعلِّق نقدا عليه لفعل أو شخصية، أو للحدث ككل، بلغته الخاصة التي وافقها وطبيعة الشخصية التي تلفظها، ولا شك أن يراعي في ذلك طبيعة مجتمعه والنظام الحاكم سياسيا ودينيا وأخلاقيا.

سادسا : دواعي الحكي العجائبي :

وإنّ اللجوء إلى العالم العجائبي المتخيل لم يكن عفوياً أو رغبة في التغيير فقط بل كان مقصوداً تجنباً لما قد يوجه إليه من اتهامات حول عقيدته وإيمانه واتهامه بالكفر والزندقة أو عقاب من أصحاب النفوذ والسلطة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

والمقامات العالية سواء كانوا من أهل الحكم أو أهل العلم والأدب فلجأ إلى القصة الخيالية ليثبت من خلالها ما شاء من الانتقادات, تقول مي السادة "حينما يوظف الروائيّ العجائبيّة في عمله, فهو يوظفها عن قصديّة وعمد بغية التشديد وتأكيد فوضويّة عالمه المعاش, ورغبته الشديدة في تحطيم هذا العالم. هذا الواقع الّذي لولاه لما كان هناك رغبة وسعي إلى خلق عالم آخر " (مي السادة , 2014 ، ص 11).

ومثل هذا الفهم يذهب محمد غنيمي هلال حينما يقول: "فهي رحلة تخيّلها أبو العلاء في الجنّة والنّار ليحل في عالم خيّاله مسائل ومشكلات ضاق بها في عالم واقعه, من العقاب والثواب أو الغفران أو عدم الغفران مع كثير من المسائل الأدبيّة واللغويّة التي يوردها مورد السّاخر تارة والنّاقد اللّغويّ المتبحر تارة أخرى" (محمد غنيمي هلال , 1997 , ص 496) .

إنّ الرحلة التي أعدّها أبو العلاء لبطله "ابن القارح" تأرجحت بين الواقع والخيال جمع فيه بين المعقول واللامعقول وبين زمن موضوعي وزمن مطلق عجائبيّ فأضحت شخصيّة "ابن القارح" على بن منصور الحلبي التاريخية شخصيّة خياليّة انطلقت من واقعها لتجوب عالماً غيبياً من نسج خيال صاحبه, وهناك من اعتبرها رسالة مطوَّلة استعرض فيها أبو العلاء مسائل إنسانيّة وقضايا أدبيّة وفلسفيّة, وقد عّلق عليها الذهبيّ قائلاً: "رسالة في مجلد واحد احتوت على مزدكة واستخفاف وفيها أدب كثير" (الذهبي , 1992, ص189) .

وكأنّه يلمّح إلى عقيدة صاحبها واستخفافه بمسائل الدِّين وراء ستار قضايا أدبيّة ونقديّة, أمّا الصفديّ فذهب إلى القول: "ومن وقف على كلام أبي العلاء المعري في رسالة الغفران في ذينك البيتين اللّذين للنمير بن تولب (مصطفى السقا , 1986 , ص 485) , وهما:

ألم بصحبتيّ وهم وجوع خيال طارق من أم حصى

لها ما تشتهيّ عسل مصفى متى شاءت بحواري بسمن

وكيف غير القوافي منها ونزّلها على سائر حروف المعجم ، خلا حرف الطاء علم تمكن أبي العلاء من الأدب وإطلاعه على اللّغة" (مصطفى السقا و آخرون , 1986, ص 189) .، وإنّ التفوق العلائي أدبياً ونقدياً لا نقاش فيه سواء من مؤيديه أو معارضيه, وقد صنّف البستاني رسالة الغفران على أنّها ملحمة نثرية من أحسن ملاحم المولدين, أماطه حسن فذهب إلى القول "إنّ هذه الرّسالة أول قصة خياليّة عند العرب " (حسين طه , 1963, ص 295) . وهذا ما ذهب إليه حسين الوادي باعتبارها مجموعة من القصص .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إلا أن القصة تعتمد منهج ثابث ترتكز فيه على الحبكة و وجود عقدة يتم فكها في نهاية القصة غير أن الأحداث كانت نهاياتها مفتوحة كأنه الدخول في اللامعقول والخروج دون الحاجة إلى أجوبة محددة إن المسارات التي اتبعها ابن القارح في رحلته من خلال المحطات الكبرى بداية بالتجول في الجنة ثم الذهاب إلى النار و المرور بالطريق التي تربط الجنة بالنار ثم العودة إلى الجنة تتخللها محطات صغرى غير خاضعة لمنهج محدد كما أن الاستطرادات الكثيرة تجعلها بعض الأحيان دروس لمسائل نقدية وأدبية يضعف عنها صفة الحبكة القصصية في بعض المواطن رغم أن السارد قام بالربط بين هذه الثغرات عن طريق السرد . واعتبرتها عائشة عبد الرحمن مسرحية رائدة من تراث القرن الخامس هجري عقدتها الغفران" عائشة عبد الرحمان ، 1983, ص 14) . بسبب غناها بالحوار و التقسيمات إلى مشاهد إلا أننا نعود و نقول أنها مزيج من أجناس أدبية قد تكون رسالة جوابية تميزت عن غيرها بما حملته من أسلوب متميز وتراكيب معقدة ولغة غريبة وجميلة في نفس الوقت فهو يحمل قيمة معنوية و جمالية لا جدال فيها أم أنها رحلة خيالية لعوالم مختلفة وقد تكون مسرحية مطولة أو قصة عجائبية من التراث القديم غير قابلة لمقاييس القصة اليوم.

إن أحداث رسالة الغفران أحداث تثير الاستغراب والجدية والسخرية في بعض الأحيان فهي تحمل الكثير من المتناقضات وتثير الجدل حول الكثير من القضايا ولعل المعادل الموضوعي الذي تثيره الرسالة هو إدانة هذا المجتمع بشكل عام وأهل العلم والأدب والدين بشكل خاص من جانب آخر يرى شوقي ضيف أن" أبا العلاء يعتبر في نثره مرحلة قائمة بنفسها في تاريخ اللغة العربية فقد أخذ اللغة من أيدي سابقيه وخرج بها إلى مذهب التصنع الجديد و أوغل فيها إيغالا لم يوغله أحد قبله و لا بعده " (شوقي ضيف , ص 291)

Erreur ! Signet non défini. لقد سخر أبو العلاء اللغة في بناء تراكيب معقدة وأحيى الألفاظ المهجورة لتتحول متونه إلى ما يشبه الأحاجي واللفظ الغريب والجناس المعقد ليثبت لنا أنه يمكن للغة أن تكون تركيبة معقدة وساحرة ينتج عنها زخرف وزينة وتعقيد وعلم كثير لم يسبقه له أحد.

لقد وصلت رسالة الغفران للعالمية لتصبح مصدر الهام للكثير من الكتابات العالمية هذا ما تعرض إليه الكثير من الأدباء والنقاد في المقارنات بين "رسالة الغفران "والكوميديا الإلهية لدانيتي يقول شوقي ضيف "لم يصنع أبو العلاء للعرب كوميديا إلهية فحسب بل أثر بها أيضا تأثيرا عميقا في الآداب العالمية " (شوقي ضيف , ص 276) . لا يمكن أن ننكر أن جميعها رحلة خيالية إلى العالم الآخر تطرق مسائل

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

متشابه كالتوبة والغفران والعقاب والجنة والنار وأن الغفران أسبقها حوالي424هـ والكوميديا الإلهية 1302-1315م .

لكن لا توجد وثيقة مؤكدة تدل على ترجمة رسالة الغفران إلى لغات أخرى , في زمن دانيتي , إلا أن حروب الاسكندر و العلاقات بين الشرق و الغرب ساهمت في دفع حركة الترجمة و تبادل العلوم , كما أن الكثير من المؤرخين و النقاد أيدوا فكرة تأثر دانيتي بالمصادر الشرقية .

يرى المؤرخ الفرنسي " أ. بلوشيه " في كتابه " المصادر الشرقية للكوميديا الإلهية " المنشور في 1901 م أن دانيتي تأثر في ملحمته بكتابيين كانا موجودين في الشرق , الكتاب الأول لكاتب في عصر غير محدد و الآخر كتب في معراج الرسول صلى الله عليه و سلم , في حدود القرن الثاني هجري , و هذا كان رأي الكثير من المستشرقين و العرب منهم المستشرق الاسباني " بلاثيوس" و المستشرق الإيطالي " كابريلي " , و قد تأكد هذا الرأي بعد قيام المستشرق الاسباني " ساندينو" و المستشرق الايطالي " تشيرولي " بنشر الترجمات اللاتينية و الفرنسية لوثيقة "معراج محمد " سنة 1949 , و من خلال هذه الوثيقة عرف أن ملك اسبانيا ألفونسو العاشر قد أمر طبيبا يهوديا يعمل في بلاطه بترجمة قصة المعراج إلى الاسبانية سنة 1263 , و أن هذه الترجمة كانت أصلا لترجمة أخرى إلى اللاتينية الفرنسية قام بها المترجم و موثق ايطالي كان يعمل في نفس البلاط يدعى " بونيافينيتو رادى سينا " سنة 1264 م"29 قبل أن يولد دانيتي بسنة (سناء شعلان ,2008 , ع 22) و الكوميديا الإلهية على حسب ما هو مرجح الفت ما بين (1302 – 1315 م) .

يبدو أن الكفة تتأرجح لتأثر دانيتي بالثقافة الإسلامية و قصة المعراج و خاصة انه كان مسيحيا متدينا و متطلعا للعلم , و ربما هذا أصل التشابه بين الرسالة و الكوميديا لان منبع إلهامهما واحد .

سابعا : الغفران والمعتقد الديني :

لا تفوتنا الإشارة إلى أن الجنة التي صورها لنا أبو العلاء هي جنة علائية أخذت طابعها الديني من القرآن الكريم والكتب السماوية وقصص البعث و الإسراء والمعراج ...ومهما كانت الأحداث والشخصيات ذات مرجعية إلا أن العنصر العجائبي في السرد يغير سماتها لدرجة قد تضيع فيها مرجعيتها الاجتماعية والدينية مما تجعل المتلقي في حيرة وتردد في تصديق أو تكذيب ما يقرأ...فكيف لهذا اللهو واللغو أن يكون في الجنة .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إن هـذا التشـابه في الوصـف وذكـر الثـواب والعقـاب والغفـران والشـفاعة أدان أبا العـلاء في تـدنيس المقـدس والتلاعـب بحقـائق الـدين الثابتـة ,وعلـى سـبيل المثـال بعـض مواقـف الشـفاعة لمـا طلـب الشـاعر الأعشـى الشـفاعة مـن النـبي صـلى الله عليـه وسـلم فيقـول : "سـحبتني الزبانيـة إلى صـقر، فرأيـت رجـلا يـتلألأ وجهـه بتلألـؤ القمـر والنّـاس يهتفـون بـه مـن كـل أوب: يا محمـد، يا محمـد، الشـفاعة، الشـفاعة...تمت بكـذا... فصـرخت في أيـدي الزبانيـة: يا محمـد أغثـني، فـإنّي لي بـك حرمـة. فقـال: يا علـي بادره، فـانظر مـا حرمتـه؟ فجـاءني علـي بـن أبي طالـب–صـلوات الله عليـه– وأنا ألقـى الـدرك الأسـفل مـن النـار، فزجـرهم عـني، وقـال: مـا حرمتـك؟ فقلـت أنا القائـل (أبـو العلاء المعري،1969, ص178) :

أَلاَ أَيُّهَا ا لسَّائِلِي أَيْنَ يَمَمت فَإِنّ لهَا فِي أَهْل يثْرِبِ موعدًا

فآلَيْتَ لَا أَرْثِي لهَا كَلاَلَةً وَلَاْ مِنْ حَقِّي حَتَّى تلاَقِي مُحَمَّدَا

نَبِي يُرَى مَا لَا يَرَوْنَ ذِكْرَه أَغَارُ لَعُمْرِي فِي البِلاَدِ و أَنْجُد

ثمَّ سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن حاله في الدنيا، فقال له علي: قد جاء ولكن قريش صدّته وحبه للخمر، فشفع له ودخل الجنة على أنْ لا يشرب فيها خمرا.

قد خُصَّ النبي صلى الله عليه وسلم بالشفاعة على خلاف الأنبياء ولذا فإنّ أغلب مشاهد الشفاعة ارتبطت به أو بأحد المقربين من آل البيت، أو الصحابة.

إنّ جنة أبو العلاء التي صوّرها لنا عمّم فيها الشفاعة على المسلمين وغيرهم، كما أنّه أجاز الشفاعة لأهل البيت على غيرهم، فنجده يذكر من بنات الرسول صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها، لا غيرها، ومن أصحابه علي رضي الله عنه، فكلاهما كان لهما يد الشفاعة لابن القارح على عكس حمزة عم الرسول الذي قابل طلب ابن القارح بالرفض، فهل كان ذلك مقصودا أو جاء عرضيا.

وقد يكون الأصل في الحكاية استنكار أبي العلاء لما جاء في معتقد الشيعة أن للسيدة فاطمة يوم القيامة وقفة على باب جهنم ,يعطيها الله سبحانه حق الشفاعة في من ترى الشفاعة فيهم (يوسف البحراني , 1986, ص 144) فقد كان أبو العلاء صريحا في موقفه غامضا في كلامه أنساني المذهب تعهد بأن يلتزم بما يعتقده ,فاتهم الباطنية بالإباحة وهاجم ما زعمه الاسماعلية من الظاهر والباطن ومن أن ظاهر القرآن رمز يعرفه الأئمة كما أنه نفى ما زعمه الشيعة من تفوق علي رضي الله عنه عن سائر البشر وادعاءهم قيام أمام غائب (فوزي محمد أمين , 1993 , ص 105) , فلا يمكن أن نحكم على الرجل

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ونهمز في معتقده لأنه أضفى على الغفران ما أضفى من ظلال الشيعة و المعتقدات في البعث و الميعاد لأننا تعودنا على أسلوب المعري من إلغاز و إيماء و استخدامه للغة تعطينا مستويات متعددة من الدلالة . ظاهرها خلاف باطنها .

خاتمة :

مما سبق ذكره نعلم أنه خيال فيه الكثير من الحقيقة كالعقاب والغفران الجنة والنار والحياة بعد الممات والبعث إلا أن توظيف هذه الحقائق لم يكن دينيا بحتا بل كانت له أغراض أخرى تضمنتها العديد من المسائل الأدبية و اللغوية و النقدية و الكثير من الآراء وتشعبت فيها الاتجاهات والمعتقدات وكأن أبا العلاء أراد أن يجمع بين ما يعتقده الإسماعلية من المعاد الروحي وبين ما يعتقده الاثنى عشرية من الميعاد الروحي والجسماني وما يعتقده الشيعة عن مبدأ التعويض

تضمنت الأحداث في رسالة الغفران أفعال خارجة عن حدود المنطق المعاش ولكنها محتملة التصديق لأنها واردة في الغيبيات فجمع بين البعد الميتافيزيقي الديني في بنائها والبعد المادي بالبعد الروحي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قائمة المصادر و المراجع

- **القرآن الكريم**
- **المصادر**

1. المعري أبو العلاء , رسالة الغفران,تح عائشة بنت الشاطئ , دار المعارف , مصر , ط5 , 1969 .

- **المراجع**

1. أحمد أمين : – ضحى الإسلام: دار الكتاب العربي (بيروت)، ج 1، (د. ط) .
– ظهر الإسلام: (دار الكتاب العربي, بيروت, ج 1, د.ط, 2008
2. البحراني يوسف , الكشكول , ط البحرين , 1986 .
3. بن رمضان صالح ، المعري ورسالة الغفران مجاورة الحدود وحدود المجاورة، دار اليمامة للنشر والتوزيع تونس, ط2, 1993
4. حسين طه ، تجديد ذكرى أبي العلاء ، دار المعارف ,مصر ط 6 , 1963
5. حميد لحمداني، النص السردي من منظور النقد الأدبي , ط 3 (المغرب , المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر, 2000)
6. الحموي أبو عبد الله ياقوت , معجم الأدباء , تحقيق إحسان عباس , دار الغرب الإسلامي , ج 1 .
7. الذهبي , تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الإعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري , دار الكتاب العرب : بيروت , لبنان ج 30, ط1, 1992 .
8. زيدان عبد القادر ، قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري , دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية , مصر, ج2 ط1, 2007.
9. لفتة ضياء غني ، البنية السردية في شعر الصعاليك , ط 01 (عمان الأردن , دار الحامد للنشر و التوزيع , 2010) .
10. مرتاض عبد الملك ، شعرية القص و سيمائية النصر.(د.ط) (الجزائر,البصائر للنشر والتوزيع,2013).
11. السادة مي ,السرد العجائبي في الرواية الخليجية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت)، ط01, 2014.
12. السقا مصطفى وعبد السلام هارون وآخرون , تعريف القدماء بأبي العلاء إشراف طه حسين, مطبعة دار الكتب والوثائق القومية, القاهرة مصر, ط4, 2003.
13. شوقي ضيف , الفن و مذاهبه في النثر العربي الحديث , ط 10 , دار المعارف , القاهرة.
14. عبد الرحمن عائشة ، جديد في رسالة الغفران: نص مسرحي من القرن 5 هـ، دار الكتاب, بيروت, ط1, 1983.
15. غنيمي محمد هلال , النقد الادبي الحديث , دار النهضة مصر , 1997 م.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

16. فوزي محمد أمين , رسالة الغفران بين التلميح و التصريح , دار المعرفة الجامعية مصر , 1993 .
17. قجور عبد المالك ، القصة ودلالتها في رسالة الغفران وحي بن يقظان: ط1, 2009.

- **المراجع المترجمة**

1. جيرار جينات وآخرون ، نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير , ترجمة ناجي مصطفى ,ط 1 منشورات الحوار الأكاديمي و الجامعي , دار الخطابي للطباعة و النشر , الدار البيضاء .

- **الرسائل الجامعية**

1. تيحال , نادية ، أدب التمرد عند أبي حيان التوحيدي وأبي العلاء المعري أطروحة دكتورا دولة: (كلية الآداب واللغات جامعة الجزائر 2003-2004).
2. حساني , شريف نجيب، رسالة الغفران للمعري (قراءة تأويلية) رسالة ماجستير في الأدب ،جامعة بسكرة (2012/2011).

- **المجلات**

شعلان , سناء , رسالة الغفران و الكوميديا الإلهية (مقاربة) , مجلة عود الندى (مجلة ثقافية فصلية , الأردن) , العدد 22: 03 / 2008 .